دور الكنائس المحلية في خطة الرب لخلاص المسلمين

فرانك س خير الله

أعتقد اعتقاداً راسخًا بأننا إذا أردنا أن نكسب الباكستان إلى ربنا عيسى المسيح فإن ذلك يمكن وسوف يتم من خلال الكنيسة الباكستانية.

إن المساعدات المقدمة من الكنائس الخارجية على شكل أموال وموظفين وخبرة ربما كان لها فائدة كبيرة ولكن فى نهاية الأمر فإن تنصير أهل البلاد سوف يتم بصورة أساسية من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية، ويتم بعد ذلك تشكيل جالية محلية نصرانية قوية ولعل المفتاح إلى هذا هو «جماعة المؤمنين» التى يضطلع أفرادها بالمهمة التنصيرية فى كل بلد، ولا يمكننى أن أعبر عن هذه الفكرة بأفضل مما فعل الأسقف **حسن دهقانى نافتى** ولخصها فى الفقرات الأخيرة من سيرة حياته الذاتية بعنوان: **خطة عالمى الخاص:**

لا تستطيع الكلمات وحدها دفع المسلمين إلى أعتاب الصليب، ولا يجعل أى قدر من التفسير المجرد المسلمين يحسون إحساس أولئك الذين كانوا مع المسيح فى القارب «فسجدوا له... وقالوا: بالحقيقة أنت ابن الرب» (متى ١٤: ٣٣)، إن على النصارى أن يثبتوا فى حياتهم وسلوكهم كيف أن النصرانية هى فى الحقيقة تجسيد لمحبة الرب، إن معظم المسلمين الذين أعرفهم ممن اتبعوا المسيح واتبعوا النصرانية فعلوا ذلك بسبب حياة التضحية والمحبة الخالصة التى شملهم بها بعض الأصدقاء النصارى، ولن يتم تنصير المسلم إذا لم نبادر إلى محبته شخصياً... ويبقى بعدئذ الكثير، فما من أحد مهما كان قديسًا يستطيع أن يعكس محبة الرب فى المسيح كاملة، إن تفسير ذلك يتطلب مشاركة مجتمع المؤمنين أى أبناء الرب، إن الكنائس سواء كانت اثنتين أم ثلاثة تجتمع معًا باسم الرب وهذا هو جوهر الموضوع، إن دورهم عظيم جداً خاصة عندما يكون تجمعهم فى وسط عالم ساده الإسلام لقرون عديدة[1]!

وفقط عندما ندرك نحن الباكستانيين دورنا المتعاظم فى تنفيذ المهمة العظيمة حينئذ سنبدأ الاتصال بصورة فعالة بإخواننا المسلمين، إن الاتصال يعنى المشاركة،

(1) Dehqani - Tafti, Hassan, pp. 79 - 80.

وهذا هو أصل معنى الكلمة، والمشاركة هى أكثر من العطاء، إنها تعنى العطاء والأخذ معًا، كيف يتسنى لنا أن نعطى إخواننا المسلمين رسالة الخلاص إذا لم نحاول أن نفهم تفكيرهم وموقفهم إزاء الحياة والعقيدة التى يؤمنون بها؟ إذن يتعين على كل واعظ نصرانى بين المسلمين أن تكون له معرفة كبيرة بمعتقداتهم وشعائرهم وآمالهم وطموحاتهم... إننى معجب بالكلمة الإنجليزية، فهناك ثمة شعور بالألم بين طيات هذه الكلمة وشوقًا لتبليغ الرسالة ورؤية المرء لأخيه آمنًا ومتصالحًا مثل النبى يوسف مع أخيه بنيامين: «لأن أحشاءه حنت إلى أخيه...» (التكوين ٤٣-٣٠) وما لم يكن فى قلوبنا هذا التشوق فلن نتمكن من تبليغ الكتاب المقدس ونشر رسالته «ويا ويلنا إن لم نفعل».

ولكن يبدو أن الكنيسة الباكستانية ليس لديها اهتمام بإخوتها المسلمين، لقد كان لنا اجتماع غير رسمى مؤخراً مع بعض المهتمين بتنصير المسلمين والذى حضره باكستانيون أيضًا، وكان الموضوع المطروح للبحث هو كيفية مساعدة المتنصرين الجدد ليصبحوا جزءًا من الكنيسة، واقترح أن تكون هناك فى البداية علاقة صداقة وزمالة مع المسلمين المتنصرين الآخرين ومع المتعاطفين فى سبيل خطوة تمهيدية، وأعرب أحد الباكستانيين عن تخوفه من أن يؤدى ذلك إلى أن يكون لدى المتنصر شعور مفرط بالعظمة ويجب توخى الحذر بشأن ذلك.

هذا الرأى يتفق تمامًا مع الموقف عند رؤساء الكنيسة، إن هناك عدم استعداد لمشاركة الأخبار السارة للإنجيل مع جيراننا الذين نعتبرهم «بصورة لا شعورية أعداء» لنا، إن معظم النصارى لديهم كراهية للمسلمين ونحتاج - وبرحمة الرب - إلى التغلب عليها، ولكن لماذا كل ذلك؟ لقد نشأت الكنيسة فى تلك البلاد قبل قرن من الزمان، واستقطبت جماعات تنتمى معظمها إلى الطوائف الدنيا الهندوسية، وكانت الثقافة الفرعية التى كونتها الكنيسة خلال تلك الفترة فى أغلبها ذات طابع هندوسى فى أسلوب العبادة والموسيقى الدينية والعادات الاجتماعية واللغة التى تأثرت كثيرًا بالهندوسية، أوردنا مثالاً هامّاً على مثل هذا التأثر بالممارسات الهندوسية نأخذه من العشاء الربانى للكنيسة الإنكليكانية والتى تعتبر متشددة فى قضية إدخال تعديل أو تغيير فى طقوس العبادة: لاحظوا فى كتاب

العبادة المشتركة[1] ترتيب مراسيم «احتفال الزواج» حيث تتم **المانكالاسوترا** وهى عادة دينية هندوسية لتقديم قلادة زواج بدلاً من -أو بالإضافة إلى- العادة الغربية بتقديم «خاتم»[2].

وكانت تلك العادات مقبولة قبل إنشاء دولة الباكستان وحينما كان هناك خليط من السكان الهندوس والمسلمين، والآن وفى الوضع الراهن قد تغيرت الأمور وتبدلت وعلى الكنيسة أن تتلاءم مع الوضع الجديد.

وهذا التغيير ضرورى ليس لأسباب تنصيرية فحسب ولكن لأسباب قومية وهذه نقطة جوهرية علينا أن نضعها نصب أعيننا، نحن الباكستانيين نلنا استقلالنا قبل أكثر من ٣٠ عامًا، ولا نزال نناضل لحل بعض المشكلات التى تتداخل فيها اللغة والثقافة والدين، فمم تتألف «قوميتنا»؟ وما هويتنا؟ وما نوع الحكومة المناسبة لباكستان؟ هذه هى بعض القضايا التى تسبب المشكلات وتحتاج لحلول سريعة، إن العواطف القومية تفسد أحيانًا تفكيرنا، وبما أننا قد اخترنا أن نكون باكستانيين فإن واجبنا النصرانى يقضى علينا مجابهة هذه المشكلات والتعاون مع أهل بلادنا لحلها.

والواقع أن سكان الباكستان هم مزيج من الثقافات الهندوسية والإسلامية، فقد كان بعض المسلمين فى القرون الماضية هندوس كما أن كثيراً من عاداتنا الاجتماعية ترجع إلى أصول هندوسية، وحتى لغتنا القومية الأردية تشير إلى هذه الثنائية، فنظام بناء الجملة مستمد من النحو الهندى وكذلك على الضمائر والحروف بما فيها الجر والعطف، وكان علينا كى نثبت انتماءنا الإسلامى ونبعد عن الانتماء الهندى أن نتجه ثقافياً ولغوياً «لتعريب» و«فرسنة» ألفاظنا ونبتعد عن الألفاظ السانسكريتية والهندية، وهناك جهود متعمدة للابتعاد عن كل آثار الثقافة الهندوسية بل عن كل ما هو هندى، وخير مثال على ذلك عندما عرض التلفزيون الهندى الذى تصل برامجه إلى الباكستان برامج فيها رقصات وأغان شعبية ذات طابع باكستانى -هندى ثارت الصحف الباكستانية على البرامج ودعت المشاهدين فى الباكستان إلى مقاطعة

(1) The Book of Common Prayer.

(2) Dehqani - Tafti. p. 640.

تلك البرامج واعتبرتها «غزوًا ثقافيًا» للباكستان، ولنذكر أن ٩٧٪ من سكان الباكستان مسلمون، وقد أصبحوا نتيجة كفاحهم ونضالهم مدركين لثقافتهم وحريصين على التمسك بها، وعلينا نحن النصارى فى مثل هذا الوضع أن نساعد فى حل مشاكلهم والتى هى مشاكلنا أيضًا بدلاً من زيادة حدتها، إن كثيرًا من إخواننا الذين يعملون فى مجال التنصير ينظرون إلى هذه النقطة من زاوية صحيحة، وعلى الكنيسة المهتمة بتنصير المسلمين أن تجعل كل الجهود التى تقوم بها منسجمة مع المحيط الثقافى الذى تعمل فيه وأن تشارك الطموحات المشروعة للسكان المحليين.

ولكن بدلاً من هذا النمو الصحى الطبيعى أصبحنا منغلقين على أنفسنا ومهتمين بالمحافظة على ثقافتنا الهجينة أكثر من اتصالاتنا بإخوتنا المسلمين وتعريفهم بالإنجيل بجرأة، وفى كنيستنا الحالية الهندوسية الأصل وذات الطابع الغربى الزائف لا يحس المتنصر المسلم بالانتماء الطبيعى أبدًا، ولكن من الذى يهتم؟

إن الرب بالتأكيد يهتم بهذا الأمر ولكننا نحن الذين نعمل أدوات له لتقديم هذه الرعاية لسنا مستعدين لذلك تمامًا، ولن يحدث هذا إلا إذا جددت الكنيسة، فالكنيسة يمكنها أن تقوم بدورها فى خطة التخليص الإلهية عندما تقوم أولاً بخلاص نفسها، فما هى الصورة التى قدمتها الكنيسة إلى أهل البلاد؟ حتمًا سوف يقول العديد «انظروا كيف يكره النصارى بعضهم بعضًا، ويهرعون إلى المحاكم ليقدموا دعاواهم الفارغة التى لا تنتهى أبدًا»، وهناك أيضًا انقسامات فى الكنيسة حول الأملاك والمكاتب وتشجع هذه الانقسامات الأموال الأجنبية والجدل «اللاهوتى» العقيم الذى لا يمت إلى حياتنا هنا بصلة، لا شك بأن لإخواننا الأوربيين والأمريكيين العاملين فى حقل التنصير مسئوليات عظيمة إزاء هذا الموقف، ولكن يا ترى هل ساعدونا لكى نتقدم ونتطور طبيعياً ونكون معتمدين على أنفسنا أم أنهم فرضوا علينا بصورة لا شعورية آراءهم؟ هل هناك تعاون حقيقى فى «مجال التنصير» بين الكنائس الأم والكنائس الصغرى التابعة لها؟ وهل تشترك هذه الكنائس معًا فى عمل تنصيرى وفقًا للجزئين السابع والثامن من **معاهدة لوزان؟**.

إننى أتفق تمامًا مع **الأسقف ستيفن نيل** فى ملاحظته التى أوردها فى كتابه على الرغم من أنه لم يشاهد الدلائل المشجعة بنفسه فى الباكستان، كتب نيل يقول:

لا تزال هذه الكنائس الصغرى تقليدية فى نصرانيتها وكثيرة الاعتماد على الآراء والأفكار الغربية إلا أن ثمة دلائل مشجعة تشير إلى أن الكنائس فى كل من المناطق الكبرى بدأت تصبح محلية بصورة أصيلة إن لم تضفى على فهمها للنصرانية سمات خاصة بها وليست مستمدة من التجربة الغربية، وهذه العملية ستمكن كل كنيسة من أن تصبح كنيسة موجودة بأصالة فى البلاد التى كتب لها أن تكون روحًا لها وتجعل فى الكنيسة العالمية كنزًا يمكن لكل الأمم أن تنميه من ميراثها الخاص بها[1].

لقد حاولت بعض المنظمات ذات النوايا الطيبة المرتبطة بالكنيسة فى حماسة ظاهرة أن تقوم بحملة تنصيرية فى الباكستان بأسلوب كان ناجحًا جداً من قبل فى بعض المدن الكبرى فى الولايات، واستخدمت تلك المنظمات نفس الأساليب ونفس الأدوات والمعدات الإلكترونية ونفس النصوص مترجمة إلى الأردية وأنفقت أموالاً طائلة فى تلك الحملة، ولكن القائمين على الحملة لم يدركوا الضرر الذى أحدثوه دون أن يحققوا نتائج تذكر ولا ننسى أن ما يفيد بعض الناس قد يضر ضرراً كثيراً بالآخرين.

لنضرب مثالاً آخر يبين كيف تضيع الجهود هباء منثوراً إذا لم يتم التعاون والتشاور بين أصحاب الحملة الأجانب والكنائس المحلية فى البلاد، كانت قد بدأت حملة لتوزيع الكتب المقدسة من مدينة **ويتون فى ولاية إيلينويز الأمريكية**، وأرسل بالبريد إلى كل من كان مسجلاً فى دليل الهاتف فى بعض المدن الباكستانية نسخة من العهد الجديد باللغة الأردية، ولما كانت بعض العناوين قد تغيرت أثناء الإرسال رفض بعض الناس استلام هذه المطبوعات النصرانية فقد تكدست أطنان منها فى مكتب البريد وتم التخلص منها ببيعها بالمزاد «كأوراق مهملة» واكتشف بعضنا ذلك عندما ابتاع سلعًا كانت موضوعة بأكياس مصنوعة من صفحات

(1) Christian Faith Today, 1956.

الإنجيل، وسيشعر حتمًا أى فرد تعرف على ثقافتنا ومجتمعنا بالرعب والدهشة البالغة بسبب الاحترام الذى تحظى به الكتب المقدسة فى الشرق سواء أكانت نسخ القرآن أم الإنجيل، ولكم أن تتصوروا مبلغ الغم الذى أصاب أصدقائنا من المسلمين الذين لم يستطيعوا أن يفهموا لماذا تم تدنيس حرمة كتابنا المقدس بهذا الشكل من قبل الأمريكيين.

وقد نبا إلى علمى أن **جمعية الكتاب المقدس الباكستانية** قد قدمت احتجاجًا للذين قاموا بالحملة ولكن هؤلاء أخبروا الجمعية بأنه قد وصلتهم بعض الخطابات من الباكستان تقيم وتثمن عملهم هذا، ولكن لم يخبرونا حتى الآن كم كان عدد هذه الخطابات وهذا هو نوع المواقف التى تفرض علينا جميعًا أن نجرى تقييمًا شاملاً باستمرار لنشاطنا وفعاليتنا على أنه جزء من تعاون الكنيسة العالمية مع الكنائس المحلية.

إن نوعية الحياة النصرانية فى الكنيسة العالمية بالغة الأهمية فى العمل التنصيرى وهذا ما لاحظناه فى وقت مبكر، ويتعين علينا كذلك أن يكون لدينا استعداد فكرى للعمل بين المسلمين، ويمكن لمعاهدنا اللاهوتية أن تقوم بذلك، إننا بحاجة إلى مراجعة مناهج معاهدنا اللاهوتية وتعديلها بحيث تتماشى مع متطلباتنا، وينبغى أن تكون دراسة الإسلام التقليدى وإسلام العوام إجبارية، وشرح وتفسير النصرانية إلى المسلمين بلغة وأشكال فكرية يسهل عليهم فهمها يجب أن تعطى دورة دراسية ويعهد بهذه المهمة إلى متخصص فى الإسلاميات يعرف المدارس الفكرية الشرقية- كالأزهر-، وبدلاً من أن نأخذ بالتعليمات كاملة من الكليات اللاهوتية الغربية يمكن للخبراء أن يساعدونا فى استنباط دورات دراسية ذات علاقة بماضينا وحاضرنا تمتد جذورها إلى أعمال الرسل أو إلى فترة أو إلى أبعد من ذلك لأن الخلفية السامية للعهد القديم أكثر توافقًا مع ثقافتنا، إن دراسة اللاهوت الأوربى- الأمريكى ستكون أمرًا ممتعًا ولكنه لن يمثل اهتمامنا الوحيد، وكانت هناك محاولات فى الماضى القريب فى الباكستان لإنشاء معاهد لاهوتية جديدة مهما كانت صغيرة فلماذا؟ لأننا نرغب فى أن نحافظ على الطائفية المذهبية الإنكليكانية واللوثرية والمشيخية، لقد آن الأوان لكى ننأى بأنفسنا عن ذلك وأن نطور اللاهوت

الخاص بنا والذى يرتبط بواقعنا الذى يولده الصدام بيننا وبين الإسلام وكذلك فهمنا للإسلام والذى ربما يتطلب تغيير بعض آرائنا، إن اللاهوت لا يقرر عن طريق الجلوس فى الكراسى الوثيرة التى يشغلها أناس دربوا كى يفكروا فقط وفق أنماط غربية، فاللاهوت يولد فى الحياة اليومية للناس حيث تتصارع الأفكار وتجتهد العقول للوصول إلى حل تحت إرشاد الروح القدس، وكان لدينا بوادر ميلاد لاهوت جديدة مثل هذا تقريبًا، ولكن التاريخ غير اتجاهه وحدث أمر مختلف.

إذا تابعنا الأمر الأول نجد أن الغرب كان يكن منذ فترة طويلة عداء ضد الإسلام حتى بداية الحركة التنصيرية الإنجيلية فى القرن التاسع عشر، ودخل الساحة منصرون عظام للعمل بين المسلمين ذاعت شهرتهم ولا زالت لأسمائهم أصداء تحمل وهج المجد والعظمة حتى اليوم، منهم **هنرى مارتن والأسقف فرنج وبفنادر وكاردنر وزويمر** وآخرون عديدون، وأصدر هؤلاء مؤلفات قيمة وكسبوا إلى النصرانية الكثير من المتحولين، وبعض هؤلاء المتنصرين الجدد أنتجوا أدبًا نصرانياً يجب على الكنيسة أن تحتفظ به إرثا غنيّاً، وكانت تلك المؤلفات تتضمن تفسيرات وكتب لاهوتية أخرى مكتوبة بلغتنا القومية ألفها رجال منا من أمثال **دكتور عماد الدين** إضافة إلى أعمال علمية بأسلوب شرقى، وقد أعد **أحمد** فهرس أبجدى للقرآن، كما لا يزال قاموس الإسلام الذى أعده **هيوز** متوفراً فى طبعته الثانية التى أصدرها ناشر باكستانى، ولكن شيئًا ما حدث واختفت كل تلك الأعمال القيمة وأسدل الستار على ذلك الإنجاز الرائع وسرق عمل آخر فى هذا العصر الأضواء منه، وهذه ظاهرة مستمرة حيث يترك العمل الممتاز الذى تم بين المسلمين ويهمل ويتم تجاهله تمامًا.

إننى لا أتفق مع **الجمعية الأمريكية للتنصير** فيما أسمته «حركة شعبية» وهو تعريف ملطف لتعبير «حركة جماهيرية»، إن أية «حركة شعبية» حقيقية تحدث تعبيراً عميقًا وعفوياً فى الناس جميعهم، وما حدث فى كوريا الشمالية هو مثال أصيل لذلك، وقد أعطى **روين اى شير** وصفًا مشوقًا لذلك فكتب يقول:

إن هذه الحركة العظيمة باتجاه المسيح والتى رأيناها فى محافظات بيونجان فى الشمال الغربى لم تكن حركة جماهيرية بمعنى أن حشودًا قد تنصرت دفعة واحدة،

بل كانت استجابة إيمانية إلى الكتاب المقدس تتدفق بدون أى عائق من خلال العلاقات العائلية، الأب مثلاً أصبح نصرانياً ثم قاد زوجته وأبناءه وبناته وأهله الأقربين إلى الإيمان بأن المسيح هو جواب كل شيء، وتبع هذا التحول إلى النصرانية فترة تدريبية طويلة ثم قام هؤلاء المتنصرون الجدد بتنصير آخرين بنفس الأسلوب[١].

وفى «الحركة الـ ـ ـبية» الكورية هذه لم يرتبط التنصير ببواعث خفية، والحركة التى نشأت فى الهند وفيما يعرف الآن بباكستان لم تكن ظاهرة روحية خالصة (وبالطبع ليست هناك حركات روحية خالصة إلا نادرًا) إلا أن بعض الدوافع كانت واضحة تمامًا، علق **يوجين ستوك** فى كتابه عن تاريخ جمعيات التنصير الكنيسية قائلاً [٢]:

لماذا أعلن مثل هؤلاء الناس عن رغبتهم أن يصبحوا نصارى فى نهاية المطاف؟ لأن النصرانية كانت تعنى بالنسبة إليهم ببساطة تقدمًا فى المستوى الاجتماعى، ولهذا تعرضت الكنيسة لنفس القدر من الكراهية والاحتقار الذين مُنى بهما النصارى من الهندوس وأتباع محمد[٣].

وعندما طلب من **القس باتمان من الجمعية التنصيرية الكنسية** أن يرعى هؤلاء المتنصرين الجدد وصف العملية بأنها «تعميد غير متجانس» وكتب:

عندما قابلنا هؤلاء الناس ورأينا شهادات تعميدهم لم نجد فيهم ٥ أشخاص من كل ١٠٠ شخص يعرفون أى شيء يمكن أن يوصف بأنه نصرانى على الرغم من أن بضعة مئات منهم يحضرون الكنيسة باستمرار، وكثيرون منهم يقولون إنهم أصبحوا نصارى ليحصلوا على الخلاص، ولكن إذا سئلوا ماذا يعنون بالخلاص لا يستطيعون أن يعطوا أية إجابة[٤].

---

(1) **Ibid.**, p. 233.

(2) Shearer, Roy E., **Wildfire Church Growth in Korea**, 1966, pp. 148- 149.

(3) **History of the Church Missionary Society**.

(4) Quoted in Frederick and Margaret Stock, **People Movements in the** Punjab, 1975, p. 240.

لعل من أهم الكتب التى أوصى بـها العـاملون فى حقل التنصـير هو الكـتاب الذى ألفه **فردريك وماركريت ستوك** عن الحركات الشعبية فى البنجاب.

لقد أتيح لى أن أقرأ الكتاب بعناية، وظهر لى أن جهوداً قيمة قد بذلت لإعداد الكتاب، كما أنه يعطى نصائح سليمة حول جملة من الأمور إنه كتاب لا شك قيم وأمين ولكننى لا أنـصح به فى تنصير المسلمـين، إذ أنه لا يتناول الأمور المتـعلقة بالمسلمين إلا فى حوالى ٦ صفحات فـقط، إلا أنه قد يعترض آخرون على وجهة نظرى ويرفضونها قائلين إن ما أشـرت إليه لم يكن موضوع المؤلف أو الغرض من الكتاب، ومع ذلك فإن **دكتور مكافرن** يرى أن التجربة الأولى المحركة للكتاب قد بينت فى مقدمته فيقول:

إن كتاب «الحركة الـشعبية فى البنجاب» كتاب جـدير بالقراءة وضرورى للقادة النصارى المهتـمين بحقل التنصير، وأوصى بتـدريس هذا الكتاب فى كل الكليات النصرانية والمعـاهد اللاهوتية فى شبه القـارة الهندية كما أرى أن يدرس فى دورات الخاصة عن الإرساليات التنصيرية فى الوطن[1]...

ويضيف دكتور **وارين ويبستر** المدير العام **لجمعـية الإرسالية التنصيرية المعـمدانية الخارجية المحافظة** فى تعريفه للكتاب فيقول:

يقدم (فـردريك وماركريت سـتوك) تحليـلاً تاريخيّاً عـميقًـا لنمو الكنيـسة فى الباكسـتان حيث يشكل مليون من البـروتستانت والكاثوليك أكثـر الأقليات الدينية سرعة فى النمـو من بين الأقليات، وقد ارتكزت الدراسة على سـنين من المشاركة الشخصـية، وتشير إلى الطريـق نحو نمو مستمـر لأولئك الذين يفهمون مـا تقوله الروح للكنائس فى البنجاب اليوم[2].

إننى أقدر كل مـا قام به **فردريك ومـاركريت سـتوك**، إلا أننى أحذر كل القراء وبخاصة المهتـمين بالعمل التنصيرى بين المسلمين من أن الباكـستان لم تنضج بعد لحركة شعبية فى مجتمع الأغلبية، ويبدو أنه قد سطرت ملاحظة فى مقدمة الكتاب

(1) **Ibid.**, p. 240.

(2) **Ibid.**

نفسه بأن الملايين يقرعون الأبواب من أجل التعليم إلا أن المؤلفين ركزوا على حركة جماهيرية أخرى فى السند.

وجدنا بالتدريج أنظارنا تبتعد عن كفاح ومشاكل ١,٤٪ من الذين يحملون اسم المسيح ويتركز على نحو ٩٨,٦٪ الذين لم يمنحوه ولاءهم بعد، وبالتحديد اتجه اهتمامنا أكثر إلى أولئك المستعدين للحصاد الآن من الطبقات المنغلقة[1].

إننى لست بصدد إدانة «الحركة الشعبية» وبالتأكيد إن يد الرب تحركها وينبغى لنا أن نهتم بما يقوله الروح للكنائس، ولكن عندما يدعم ذلك بالبحث العلمى الذى يعتمد على العقول الإلكترونية والوسائل الحديثة والإحصاءات فإننى أحس بأن توجيهات الروح القدس تعزل ويدفع بها إلى خارج العملية، وقد حذر الرب حتى **نيقوديموس** الذى كان أستاذًا للاهوت وعالمًا رائدًا فى عصره، «فالريح تهب حيث تشاء، فتسمع صوتها ولا تعرف من أين تجىء ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من يولد فى الروح» (يوحنا ٣: ٨).

إن ما يحدث فى السند يروق كثيرًا لعقلية جمعيات التنصير الأوربية لأنه يبرز نتائج ملموسة، والعاملون فى حقل التنصير هناك بوسعهم أن يقدموا تقارير موسعة مدعمة بالحقائق والأرقام، ولكن لنذكر أننا فى السند نتحدث عن نسبة ٠,٩٨٪ فقط من إجمالى سكان الباكستان، ولا ريب أنه إذا انضم هؤلاء الناس إلى الكنيسة فإن القوة العادية للكنيسة سوف تتضاعف، نعم إنه يتعين علينا كسبهم لصالح الرب إلا أن ذلك الأمر لا ينبغى أن يجعلنا نهمل العمل الذى يجب علينا القيام به بين الآخرين الذين يشكلون ٩٧٪ من سكان البلاد.

من المؤكد أن اهتمام المؤلفين وكثير من المنصرين الأجانب بعمل التنصير بين الطبقات المنغلقة أمر يستحق الثناء والاعتبار، إلا أن ذلك لا يجب أن يجعلهم ينتقدون الآخرين الذين لديهم عبء العمل بين جماعات غير سهلة الاستجابة، «لا تقل إن الجهد لا يحقق فائدة أو أن العمل والجروح لا طائل من ورائهما..».

---

(1) **Ibid.**, p. xx.

إن النقطة التى أحاول توضيحهـا هى أن هذين الكاتبين لهما من قوة الأسلوب والإقناع ما يجعل هيئـات الكنيسة ووكالاتها تتأثر بهـذا الكتاب بالخطوط العريضة التى وضعناها تعد مـصادر قوية من الموضوعات مـثل نمو الكنيسة والأولويات التى قررناها، تأملوا مثلاً الفقرة التالية:

كيف يمكن للكنيـسة أن تنمو؟ أين وكـيف يمكن تحقيق التـأثير والفعاليـة؟ لقد لاحظنا أن جهود الكنيسة الرامية إلى كسب أغلبية المجتمع قد حبطت، ولا تزال ثمة معوقـات لاهوتية وثقافية واجـتماعيـة ينبغى التغلب عليهـا، ونحتاج فى ذلك إلى دراسة أساليب جديدة لتنصير المسلمين تقودنا إلى نتائج سريعة، ومع ذلك ينبغى ألا نغفل عن الدروس التى اقـتضى الرب أن يتعـلمها المنصـرون الأوائل لسنين عديدة، علينا ألا ننظر باسـتمرار إلى «الأقـوياء وأهل المقامات العـالية» فقط، ولـكن لنفتح عقولنا وقـلوبنا إلى الضعفاء أصـحاب المكانة الدنيا من أهل الطبقـات المنغلقة الذين أظهروا دلائل كـثيرة على الجوع الروحى والاسـتجابات الكامنة وإذا كـان الرب قد جعل أفئـدتهم تهوى إلينا فمن نحن حـتى نقول بأنهم قذرون وتافهـون؟ فلنتواضع جميعًا ولنحاول الوصول إليهم متبعين فى ذلك المسيح الذى تواضع وأذل نفسه ابتداء من نزوله عن عرشه فى السماء حتى موته على الصليب من أجل أن يكسبنا»[1].

إننى لا أتفق مع مـا ورد فى النص أعـلاه، فالزيادة العـددية ليـست هى خطة الرب الوحيـدة، كما وأننى وبكل قوة لا أتفق مـع الفكرة التى أوردها فى الفصل ١٦ الذى أطلق عليه «مبادئ ضرورية لزرع الكنيسة اليوم» وخاصة الجزء الذى ورد تحت عنوان «عليك أن تقر أن النمو العددى للكنيسة هو مشيئة الرب»[2].

ربما يريد الرب منا أن نكسب مجموعة كاملة من البشر إلا أنه بالتأكيد لا يعيب أسلوب كسبنا النـاس واحدًا بعد الآخر، يوجد فى أعـمال الرسل حركة شعـبية، ولكن متنصـرًا وحيدًا هو الرسـول بولس هو الذى غير الـتركيب الكلى للكنيـسة الأولى، ويبـدو أن المؤلفين ومـجموعـة المنصرين الأمـريكيـين يعتبـرون بأن هذا الأسلوب أسلوب خاطئ:

---

(1) **Ibid**., p. 219.

(2) **Ibid**., p. 218.

كانت المأساة أن هذه السياسة الخاطئة قد اتبعتها كل إرسالية تنصيرية فى البنجاب وفى أجزاء كثيرة من الهند، وقد ركزت معظم الإرساليات التنصيرية على التنصير الفردى من الطبقات العليا من الطوائف الاجتماعية الهندوسية وذلك لسنوات عديدة، وهكذا ستظل هذه الإرساليات جامدة متوقفة عن النمو حتى تصبح مستعدة لاتباع خطة الرب التى هى أفضل. . . وأكثر مأساة من هذا هى النزعة إلى العودة إلى هذه الاستراتيجية غير المثمرة فى التنصير والفشل فى التعلم من الماضى إن أسلوب التنصير الفردى والذى يقود إلى الانفصال من الأسرة والمجتمع لا يمكن أن تنتج عنه كنيسة تنمو وتتضاعف كما أراد لها الرب[1].

وترجع بعض عيوب الكنيسة الحالية إلى نشأتها الأولى، وحتى إن المؤلفين على استعداد للاعتراف بأن الانقسامات الحالية فى الكنيسة تعود إلى نظام الطبقات المنغلقة نفسه:

إن الانقسام والتحزب جزء أساسى فى النظام الطبقى الهندوسى ويؤثر على المجتمع فى شبه القارة الهندية، ووجوده فى الكنيسة لا يكشف كثيرًا سلوكًا فرعياً نصرانياً بل يمثل صورة صادقة عن طريقة عمل المجتمع.

ولقد اكتشف أن هذا النوع من السلوك جزء من الميراث الاجتماعى للفرد ويؤكد ذلك **جون سى هينريج** فى كتابه[2] وتساءل مؤرخون آخرون عن جدوى ما حدث فى الهند من خلال الحركة الجماهيرية، كتب **آر فيلدر** يقول:

. . . فى بلاد مثل الهند تنصر عدد قليل جداً من أفراد الطبقات الحاكمة أو الطبقات العليا الأخرى وقد يكون هذا أمرًا طبيعياً يمكن تفسيره ولكن قادة الحركة التنصيرية الذين لديهم بعد نظر يرون أن أفضل أسلوب لتنصير شعب هو تنصير قادته الطبيعيين، وهنا كانت نظرة معظم المنصرين الضيقة هذه تمثل عائقًا[3].

وعندما شكك **يوجين ستوك** فى الحكمة من وراء نوع خاص لحركة جماهيرية رد عليه المؤلفان بعنف:

---

(1) **Ibid.**, p. 32.

(2) **Ibid.**, 186.

(3) **The Psychology of Suppressed People**.

إنه من الممتع رؤية يوجين ستوك يساهم فى مناقشة هذا الخطأ التنصيرى، إن الافتراض الذى يقول إن الدعم المادى والمعنوى والاهتمام الأبوى الدافئ والحانى الذى تقدمه إرسالية من الإرساليات لحفنة من المتنصرين فردًا فردًا وتجمعهم فى مكان واحد مجهز تجهيزًا كاملاً أمر طبيعى وصحى هو فى الحقيقة أكبر الأخطاء ضررًا وأكثرها خبثًا[1].

وأود أن يكتب أحدنا كتابًا يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، إن كتاب **مركريت وفردريك ستوك** قد قلل من قدر إنجازات المتحولين إلى النصرانية، إنهم يتحدثون عن الكنيسة القوية، أين إذن حيوتها وقوتها؟ لا شك بأن أعظم إنجاز للكنيسة المشيخية المتحدة هو **سفر المزامير البنجابية**، من الذى كان وراء هذا العمل العظيم؟ إنه مسلم نصرته الجمعية التنصيرية الكنسية وحولته للعمل مع **الكنيسة المشيخية المتحدة**.

إن خاتمة كتاب **فردريك وماركريت ستوك** لا تنصف الإرساليات التنصيرية الأخرى، إنها تحاول ببساطة أن تبرر فكرة **الكنيسة المشيخية المتحدة** عن «الحركة الشعبية»، وما يفتقد فى هذا الكتاب هو أية إشارة إلى إنجازات الأفراد الذين تحولوا عن الإسلام والهندوسية إلى النصرانية من أمثال **عماد الدين وسفدار على والأسقف صبحان والسلطان محمد وبول وغلام ومسيح وطالب الدين وأحمد شاه وإحسان الله وغازى خير الله وبركات الله** الذين ينبغى أن تذكرهم الكنيسة الباكستانية بكل فخر، فأين سجلهم؟

وفقط عندما تكتشف الكنيسة الباكستانية نفسها وتفخر بالميراث الذى كاد يصيبه النسيان وتتحول بكل محبة واهتمام إلى تخليص السكان المحليين أبناء البلد حينئذ سوف تنبعث الكنيسة وتنمو فى وقت واحد، هنالك إشارات ودلائل تلوح فى الأفق، وتبين الإذاعة التنصيرية ومدارس المراسلة والاتحاد الباكستانى للتعليم اللاهوتى عن طريق المراسلة أو الدروس الليلية أن هناك احتمالات طيبة إلا أن الحاجة ما زالت ماسة إلى مساهمة باكستانية أكبر، وبتوجيه الرب وبالتعاون مع

---

(1) **Pelican History of the Church (The Church in the Age of Revolution**, 5th Volume).

الكنيسة العالمية ينبغى على الكنيسة الباكستانية أن تنفذ «بدمائها وعرقها» مهمة الرب العظيمة! وهذا سيكون دورنا فى خطة الرب لخلاص الباكستان، آمين.

خلاصة تعقيبات المشاركين

تعادلت ردود الفعل لهذه الدراسة بين المديح والنقد، ومن الممتع أن نلاحظ أن هذا التعادل على وجه العموم وليس بصورة شاملة قائم على أسس قومية: فالمشاركون من غير الغربيين كانوا متعاطفين مع الدراسة بينما اعترض الغربيون على بعض جوانبها، أما التعقيبات الإيجابية فقد وصفت الدراسة بأنها «دراسة تثير التحدى وتدعوننا إلى العدول عن موقف واحد متحيز» وأضاف آخرون بأنها «جريئة وفيها الكثير الذى يدعو للتفكير والتأمل»، وقد أعجب القراء بصفة خاصة بوصف المؤلف العمل التنصيرى، واتفقوا معه على أهمية وجود شوق دافق لدى الناس للتحول إلى النصرانية وإلا فإن سعينا سيكون مجافيًا للحقيقة.

من ناحية أخرى شعر بعض القراء بأن **دكتور خير الله** كان سلبيّاً جداً مما أضعف آراءه وأفكاره، وبينما يتفقون معه فى أن مهمة التنصير فى الباكستان يجب أن تقع على عاتق الكنيسة الباكستانية إلا أنهم لم يجدوا فى الدراسة ما يبين لهم كيفية إنجاز هذه المهمة، وذكر هؤلاء أن المؤلف «كان سلبيّاً إزاء الحركات الشعبية والتنصير القبلى وتجاه الإرساليات التنصيرية الأجنبية، كما كان سلبيّاً حتى فى نظرته إلى الكنيسة الحالية «ولذلك اختتموا نقدهم قائلين: بينما يطلب منا ترك المهمة للكنيسة القائمة نحاط علمًا أيضًا بأن الكنيسة المحلية هى أصلاً هندوسية ليس لديها الاستعداد ولا المقدرة على القيام بمهمة التنصير».

ويرى قراء آخرون أن **دكتور خير الله** ربما يكون قد أساء فهم مسألة حركة نمو الكنيسة أو أنه قد عرض المسألة بصورة مجحفة على الأقل، وقد فشل بعض القراء فى إدراك بعض جوانب موضوع البحث الذى حاول المؤلف جاهداً السيطرة عليها والعمل على إبرازها، وعلى الرغم من أن هناك آراء وأفكار متباينة حول فعالية البحث إلا أن الجميع متفقون على أن البحث قد قدم مؤشراً مفيداً عن مشاعر وقيم جديرة بالاعتبار، إضافة إلى منطلق له أهميته.

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

لقد استمتعت بكتابة هذا البحث بنفس القدر الذى استمتعت فيه بقراءة ردود المعقبين التى أثاروها، ولقد كتبت هذا البحث على عجل، وأقولها بكل صراحة إن فكرة تكليفى بكتابة هذا البحث قد جاءت متأخرة ولكنها كانت حكيمة، فالبحث لم يكن جزءًا من الخطة الأصلية للبحوث الأساسية والتى ظهرت قائمة بها فى هامش الورقة التى استخدمت فى معظم مراسلات المؤتمر، وأعتقد أن **دون ماكرى**، بعدما استلم تعقيباتى الشديدة اللهجة على بعض البحوث الأساسية، شعر بأن آرائى التى تمثل آراء «العالم الثالث» ينبغى سماعها وإن بحثًا يعالج هذا الموضوع سيكون مفيدًا إذا أسندت مهمة كتابته لشخص وطنى، والموضوع الذى يجب تغطيته واسع ومتشعب ولذلك اكتفيت بالحديث عن الباكستان فقط، ويحدونى الأمل إلى أن شيئًا مشابهًا قد تقوم به الكنائس المحلية الأخرى لتكملة التصور بأنفسهم، ولم تكن توقعاتى خاطئة لأن بعض الناس من المناطق الأخرى قد تجاوبوا معى.

وقد تلقيت تسعًا وعشرين رسالة، كانت أربع منها تحمل فى طياتها نقدًا لاذعًا لوجهة نظرى، وأثنت ست عشرة رسالة على آرائى، أما بقية الرسائل فعلى الرغم من أنها كانت مؤيدة لدراستى إلا أنها ترى «بأن تقويم الوضع عن طريق دراسة متزنة ستكون له قيمته»، وكان معظم المنتقدين لبقين ومتعاطفين، كتب **جون ستيلنك**: «أحسست لأول مرة أن شخصًا ما يحمل عبئًا ضئيلاً على كتفه لسبب ما» ثم استدرك بلباقة قائلاً: «ولكننى عندما تقدمت فى القراءة وجدت أن بعض التحفظات التى أبداها عن الحركة الشعبية ومفاهيمها وبخاصة فيما يتعلق بالعمل التنصيرى بين المسلمين تعبر عن أفكارى وآرائى الخاصة».

إن هدفى الشخصى كان تذكير القراء، إننا نحن «الشرقيين» لا نتفق دائمًا مع إخواننا الغربيين، وكان هدفى الآخر هو حث النصارى ودفعهم إلى المشاركة فى النقاش الممتع وهذا ما نجحت فيه دون توقع.

وقد أثارت تعليقات المعقبين من المجموعة الأولى فى نفسى بعض المشاعر ونبهتنى إلى أمور مهمة، وهنا أورد أمثلة منها: «يبدو أنه قد غاب عنى شىء ما إلا أننى أشعر بأن هذه الدراسة أساءت فهم مسألة وطبيعة فكرة التطور الكنسى والحركة الشعبية... كما لم يتبين لى فى نهاية الدراسة علاقة عنوانها بمحتواها الحقيقى..» (لا يوجد اسم على التعقيب).

وكتب **لارى ويفيلبس** يقول: «يبدو لى أن المؤلف لديه فهم خاطئ عن مفهوم **ماكفارن** عن نمو الكنيسة ومبدأ الحركات الشعبية... واختتم المؤلف دراسته برأى أثار الجدل والوحدة التى دعا إليها من البداية»، وهناك إشارات قيمة عديدة بشأن المشاعر والقيم، وذكر **روجر هيدلوند** فى رسالته: «لقد أصابنى هذا البحث بخيبة الأمل وعلى الرغم من الأحاسيس الطيبة والمشاعر النبيلة التى تضمنها فإنه يبدو فى مجمله سلبياً للغاية... أكرر فى الختام أن البحث سلبى للغاية، دعونا نبحث عن حل إيجابى أو عن بداية على الأقل...» أما الملاحظات التى أبداها القراء فى المجموعة الثانية فقد «أخجلت تواضعى» بما تضمنته من مدح قال **شاف شافير**: «فى تقديرى أن هذا هو أفضل الأبحاث التى قرأتها من هذا النوع»، وقال **اى جى ديبى**: «أود أن أطرى على المؤلف لهذه الجرأة» وكتب **كن نوك**: «كل ما يمكننى قوله: آمين، آمين إنه من المهم جداً ألا نصرف النظر عن المشكلات الإسلامية النصرانية عندما نتحرك بسرعة مع **فردريك وماركريت ستوك** فى حركات شعوبهم...».

كما علق **إدوارد بشكوت**: «إنها دراسة تثير التحدى حقاً وتدعوننا إلى التخلى عن اتخاذ الموقف الموالى لجانب واحد... إنه من المفيد قراءة دراسة مثل هذه تدعو إلى نظرة غير متحيزة».

كانت رسائل المجموعة الثالثة أكثر فائدة لى، لقد وجد أفراد هذه المجموعة كثيراً من الآراء الموضوعية التى تضمنتها الدراسة إلا أنهم دعونى إلى تصحيح بعض هذه المفاهيم، وإعادة التوازن إلى الموضوعات التى تناولتها... وكنت أتمنى أن أجد متسعاً لعرض هذه الرسائل ولكننى سأقتصر على واحدة فقط، لقد بدأ

كاتبـها **ثيودور مانيـان** بما ذكرته فى مـستـهل البحث من أنه إذا رغبـنا فى كـ ب الباكستان إلى المسيح فإن هذا يمكن أن يتم من خلال الكنيسة الباكستانية وكتب فى رسالته قائلاً:

إنها دراسة قيمة. . . إننى متأكد من أن الكاتب لا يعنى ذلك. . . ويركز المؤلف أيضًا على فكرة أنه فى سبيل تنفيذ الخطة الإلهية لتخليص باكستان.

علينا أن نخلص الكنيسة الباكـستانية نفسها، وهذا أمر صـحيح وينبغى أن يقوم تعاون هادف بين المنصرين والكنيسة الملتزمة ليكونوا جميعًا عملاً مشتركًا فى حصاد الرب إذا أريد إتمام المهمة، ولا يوجد رأيان صوب الموضوع.

وشكرى الخالص لكل من عقب على هذه الدراسة وإننى مـستعد لأى تصحيح إلا أننى لن أعدل وأبدل من افـتراضاتى الرئيسـية حتى ولو كانت خـاطئة إلا أنها أدت غرضها «فى بعث تفكير جديد»!

●●●

المراجع

The Book of Common Prayer

1963 London: S. P.C.K.

Dehqani- Tafti, Hassan

1963 **Design of My World**. London: Lutterworth Press.

Neill. Stephen

1956 **Christian Faith today**. York: Penguins.

Shearer. Roy E.

1966 Wildfire Church Growth in Korea- A Case Study of Missionary Activity In Korea. Grand Rapids: Eerdmans.

Stock, Frederick and Margaret Stock

1975 **People Movements in the Punjab.** South Passdena: William Carey Library.

Vidler. R.

1961 **The Church in an Age of Revolution.** 5th volume. New York: Penguins.

●●●